رحلة قطّورة وسديم

قصة : عائشة المهيري

قَطّورة قَطرةٌ صافيةٌ، تَعيشُ في مدينةِ الْغُيومِ ، وَتَزورُ الأرضَ بين فترةٍ وأُخْرى مَعَ أَخواتِها القطراتِ لِإِضْفاءِ الحياةِ على الشجرِ والبشرِ ونَفْعِ المخلوقاتِ. وقفتْ قَطّورة ذاتَ يومٍ أمامَ بابِ غرفةِ والدِها (مَطَرْ) وقد بدا عليها الحزنُ والتَردُدُ.

تَنَهَّدَتْ قَطّورة وأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا
حينَ تَرَدَّدَتْ أصواتُ صديقاتِها القطرات:
مَعَ السلامةِ يا قَطّورة نَحنُ سَنَهْطلُ على الأرضِ بعدَ
قليلٍ نراكِ لاحِقاً. لَوَّحَتْ قَطّورة مُوَدِّعَةً، ثم حَزمَتْ أمرها
واسْتَأْذَنَت لِتُحَدِّثَ والِدَها عَمَّا يشغلُ بالَها.

حينَ رَأَى الْأَبُ الْحزنَ بادِياً على وَجهِ قَطّورة بَادَرَ بِسُؤالِها: ما بالُ صغيرتي حزينة هكذا؟ قالت قَطّورة: أبي أصدقائي على الأرضِ، حامد ومها وراشد، أُحِبُّهم كثيراً، لكنَّهم لا يُقَدِّرونَنِي كما أتمنى.

هزَّ والِدُها رأسَهُ مُؤَيِّداً وكأنه فَهِمَ ما تَقْصِدُ، وقال لها: لدي فكرةٌ جيدةٌ أعتقدُ أنها سَتُؤْتِي ثِمارَها، تعالي أُخبرك بِما أُفكِّر.

اقتربتْ قَطّورة فهمسَ والدُها في أُذُنِها وش وش وش... قَفَزَت قَطّورة سعيدةً بما سمعتْ وقالت: إِنها فكرةٌ رائعةٌ يا أبي، سأبدأ في تَنْفيذِها حالاً.

ركبتْ قَطّورة على ظَهْرِ غَيْمتِها سديم، وقالتْ لها انطلِقي إلى أَصْدِقائي سَنَأْخُذُهُمْ في رحلةٍ مَعَنا. غَمَزَتْ الغيمةُ سديم موافِقَةً، وصاحتْ مُبْتَهِجَةً إذَنْ، هيّا بِنا يا قَطْرَتي الصَّغيرة.

وصلتْ قَطّورة إلى منزلِ حامد فوجدتْهُ مُمْسِكاً بِأنبوبِ الماءِ يلعبُ بِهِ ويُحَرِّكُهُ يمنةً ويسرةً تارةً باتّجاهِ الحديقةِ وتارةً أخرى باتجاهِ سيارةِ المنزلِ التي تَعلوها رغوةُ صابونٍ كبيرةٌ.

استاءَتْ قَطّورة مما رأتْ، ولكنَّها صرخَتْ: حامد!!! تعالَ معي، سَنَذْهَبُ في رِحْلَةٍ. أُريدُك في جَوْلةٍ على الغيمة سديم.

ثم ذهبتْ إلى منزلِ مَها ، وحينَ أَطَلّتْ من نافذةِ
الْمطبخِ وَجَدَتْ مها تَغْسِلُ الْأَطْباقَ بالماءِ والصابونِ الوفيرِ
وحولَها الكثيرُ من زجاجاتِ الماءِ التي شَرِبَتْ نِصْفَها وتَرَكَتْها جانِباً.
اسْتَاءَتْ قَطّورة مِما رَأَتْ ولكِّنها صرخَتْ: مها!!! تعالي معي، أُريدُكِ في
جَوْلَةٍ مع الغيمةِ سديم.

ثم انطلقتْ قَطّورة بَعدَها إِلى راشِد فَوَجَدَتْهُ مَعَ أَصْدِقائِهِ يَسْبَحُ في بِرْكَةٍ من الماءِ الغزيرِ الذي يأتي من بئرِ مَزْرَعَتِهِم، وعلى سطحِهِ تَطْفو علبُ الطعامِ والمهملاتِ مما جعلَهُ عكراً وملوثاً.

استاءَتْ قَطّورة مما رَأَتْ ولَكِنَّها صرخَتْ: راشد!!! تعالَ معي، أريدكَ في جولةٍ مع الغيمةِ سديم.

سألَ الأطفالُ بِفُضولٍ: إلى أينَ سَنذهبُ يا قَطّورة؟
أجابَتْ قَطّورة: سَتَعْرِفونَ بعد قليل. وطارتْ بهم سديم عالياً فَبَدَا كلُّ شيءٍ صغيراً من الْأَعْلى، ثُمَّ هبطَتْ قليلاً بِالْقُرْبِ مِنْ سطح البحرِ الأزرقِ الكبيرِ، وحينَ سطَعَتْ الشمسُ بِأَشِعَّتِها القويةِ، تحولَ الماءُ على سطحِ البحرِ إلى بخارٍ تَصاعَدَ نَحْوَ السماءِ.

انْطَلَقَ الأصدقاءُ خلفَ البُخارِ المُتَصاعِدِ الذي ازْدادَ وتَكَثَّفَ حتى أصبحَ غَيماتٍ شتى، وشيئاً فَشيئاً صارَ الغيم ثَقِيلاً، وما لَبِثَ المَطَرُ أن انْهَمَرَ بقوةٍ على الأرضِ.

لَحِقَتْ الغيمةُ سديم مُسرعةً بقطراتِ المطرِ، فرأى الأصدقاءُ الثلاثةُ القطراتِ الصافية وهي تتسابقُ إلى باتجاه الأرض، بعضُها يصبُّ في النهر، وبعضُها في البحرِ، وبعضُها في جوفِ الأرضِ، وبعضُها يتجمَّدُعلى روؤسِ الجبالِ.

وبعدَ أنْ توقَّف المطرُ، ارتَسَمَ قَوسُ قزح جميلٌ في صدرِ السماءِ، وانتعشتْ المخلوقات، وفرحَ الأطفالُ الصغارُ.

قالت قَطّورة: أَرَأَيْتُم كل هذا الصفاءَ الذي يُقدمُه الماءُ للحياةِ ؟!!

وقبلَ أن يُجيبَ أحدُهُم بَدَأَ جِهازُ الإنْذارِ في الغيمة سديم يطلق إشاراتٍ عاليةً متتاليةً.

طارتْ سديمُ والأصدقاءُ حتى وصلوا إلى
محطةٍ لتحليةِ مياهِ البحرِ، كانت المحطةُ تعملُ بِطاقةٍ كهربائيةٍ كبيرةٍ
لتُلَبيِّ احتياجَ الناسِ من المياهِ، لكنَّها توقفتْ فجأة، لخَلَلٍ كبيرٍ أصابها.
سألتها قَطّورة: ما بالُكِ؟
فأجابت وهي متعبةٌ وحزينةٌ: أنا أتعبُ كثيراً لِأُحَوِّلَ الماءَ المالحَ إلى عذبٍ،
لكن الناسَ يهدرونَ الماءَ بلا حِسابٍ.

تَلَّقَتْ سديم إِشارَةَ خطرٍ أُخْرى،
فَطَارتْ حتى وصلَتْ إلى مكانٍ بعيد،
فوجَدَتْ بئراً جوفياً البئر الجوفي حزيناً.
فسألته لِم أنتَ حزينٌ هكذا؟ رَدَّ البئرُ بصوتٍ واهنٍ: الماءُ العذبُ الذي بداخلي بَدَأ يَقِلُّ فالناس تحفرُ الآبارَ بلا تخطيطٍ وتُضيِّعُ كمياتٍ كبيرة منهُ. ماذا سيبقى للأجيالِ القادِمَة؟

ما زال جهازُ سديم يرسلُ إشاراتِ الإنذارِ. طارَت سديم إلى بلد يُعاني من الجفاف الشديدِ، فرأى الصِّغار كيف أن البلدَ قاحلٌ بلا زرعٍ ولا شجرٍ، وكيفَ خرج الجميعُ من منازِلِهِمْ، سأَلَتْ قَطّورة: ما بالكم؟

أجابَ أحدُ الصغارِ... نحنُ نبحثُ عن الماءِ... نحن نبحثُ عن الحياةِ.

قالتْ قَطّورة وقد لاحَظَت الوجومَ على وجوهِ الصغارِ، خُذينا إِلى بلادِ الغيومِ يا سديم، سأُعَرِّفُ أصدقائي على والدي.

تَحَلَّقَ الجميعُ حولَ الوالِد (مطر) الذي قدِّم لهم المثلجاتِ مُبْتَسِماً، قالَ حامد: أَعْرف يا قَطّورة لم أخذتِنا معكِ في الرحلة.

وردّد مها وراشد: نعم، ونَحْنُ كذلك. لَقَدْ عَرَفْنا كَمْ هُو غالٍ وثمين الماءُ الذي كنّا نُهْدِرهُ.

عادَ الصغارُ إلى بُيوتِهم، وعادَتْ قَطّورة تَنزلِقُ على ورق الأزهار سعيدةً بأن أحوالهم قد تَغَيَّرت للأفضلِ، وتمنَّت لو أنّ كلَّ الأطفال يُغَيِّرونَ عاداتِهِم لِتَعيشَ هي نَقيةً صافيةً متألقة.

ويعيشَ الجميعُ سعداءَ في أمانٍ، ومنْ حَوْلِهِمْ الماء نظيفاً وافراً، يمنحهُم الفرحَ والحياةَ.

رحلة قطّورة و سديم
قصة: عائشة المهيري
رسوم: نتاليا ستاريكوفا
الطبعة الأولى: 2013 مـ
حقوق الطبع محفوظة
ISBN 9789948438434

ألفت هذه القصة ورسمت وأخرجت وفق مشروع التعاون بين
شركة العين للتوزيع ودار العالم العربي للنشر و التوزيع بدبي

شركة العين للتوزيع
هاتف: 7636000 (9713+) | للاتصال: 8009008
ص ب: 1065 العين، الإمارات العربية المتحدة

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced. stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

العربي للنشر والتوزيع

شركة العين للتوزيع
Al Ain Distribution Company